الخطايا السبع

(للروائية الشهيرة سلمى لجروف)

أراد الشيطان أن يمكر براهب حكيم . فالتف فى عباءة فضفاضة، ووضع على رأسه قبعة ضخمة مترهلة ، حتى لم يستطع أحد معرفته ، وأخذ سمته الى الكاتدرائية ليرى الشيخ حيث يجلس فى كرسى الاعتراف يتلقى التوابين

قال هذا الماكر « أيها الأب الموقر . أنا مزارع بن مزارع أستيقظ مع الشمس ولا أغفل عن الصلاة . وبعدها أمضى عامة يومى كادحا فى الحقول . وأتبلغ بالخبز والتين وعند ما أرغب فى الاقتناص بأصحابى أدعوهم لتناول الشهد والفاكهة . وأنا مسئول والدى وليس لى زوجة ولا أرب لى فى النساء . وأثابر على الذهاب الى الكنيسة ولا أحبس زكاة العشر عما أمتلك . وها قد سمعت اعترافى أيها الأب الموقر فهلا منحتنى الغفران »

فأجابه الراهب « يا ولدى أنت أنقى من رأيت . وأنا أغفر لك بارتياح . ولكن سأنص عليك ما حدث منذ زمن ليس بالبعيد فى نفس هذه الانحاء وسيسرك ما أقصه عليك لانك ستسمع عن أعمال صالحة تقنعك أن الذين قاموا بها يعدون أشقياء واقعين فى الخطيئة اذا قرنوا اليك »

فقال له الشيطان « أيها الأب الموقر ! انك تغرينى بالكبرياء والعجب » فأجابه الراهب « وقانى الله شر هذه الخطيئة الكبيرة . عند ما تسمع ما سأقصه عليك ترجع عن هذا الرأى »

ثم قص عليه هذه القصة

الشريف الاصيد صاحب هذا الحصن القائم على قمة الجبل الواقع فى الناحية المقابلة من النهر عقد العزم على أن يزوج ابنته من رجل سرى قوى النفوذ يحبها حبا شديدا ولكن الفتاة كانت تعارض فى ذلك لانها عاهدت غيره على الزواج

فكتبت رسالة الى من تحبه أخبرته فيها كيف ان أباها ارغمها على الزواج من رجل آخر وذكرت له انها تودعه وتقدم له أطيب التحيات وترجوه أن يبقي على نفسه ولا يفعل أي شيء لانها لاتزال تحمل له في مضمر القلب كل اخلاص

ولكن أباها أخذ الرسالة من الرسول ومزقها خفية

واستقبلت الفتاة يوم عرسها منبع الدموع ولكنها حبست دموعها في الكنيسة ولو ان الحزن كان مرتسما على مصارف وجهها حتى بدت لناظرها كالمتحجرة وبكى كل من في الكنيسة لاجلها

ولما رأى والدها مافعله بها الحزن هاله عمله فدعاها الى مخدعه عقب عودتها من الكنيسة وقال لها « لقد أسأت اليك ياعزيزتي » وركع أمامها برغم كبريائه واعترف بأنه ارتكب عملا دنيئا في مصادرة رسالتها خشية أن يعلم حبيبها فيأتي يوم العرس في جمع من أصحابه ويحملها بالقوة

فقالت له « هذا يصح أن يكون عذرك ولكنك لاتدري ماذا سبب من شقاء »

وخرجت الى الشرفة

وجاء العريس ليستقبلها

« لماذا ياحبيبتي أرى على وجهك أمارات الحزن الشديد »

فأجابته « لان لي حبيبا أقسمت ألا أتركه »

فقال لها « لايحزنك أن صرت لي زوجة ! ان حبي لك من الشدة بحيث اني لاأظن ان غيري يستطيع اسعادك أكثر مني »

فكان جوابها الوحيد « كل المحبون يقولون ذلك »

ثم جمعت شجاعتها وقالت لنفسها سأخبره فعسى الله أن يلين قلبه وأفضت اليه بأنها هي وحبيبها قد تعاهدا على أن المهجور منهما ينتحر يوم عرس الهاجر « ولذا فان حبيبي سيقتل نفسه في هذا اليوم » وبلغ منها الالم أشده فخشت عند أقدامه وقالت متوسلة « دعني أذهب اليه قبل أن يقضي الامر »

وكانت قوة حزنها مؤثرة الى حد أن زوجها — وقد جال بفكره انه إذا تركها تذهب الى من تحبه فانه لايراها ثانية — لم يتمالك نفسه عن أن يقول لها افعلي ماتستحسنين فعله

فوقفت وشكرته وعيناها مغرورقتان بالدموع . ثم أخذت طريقها الى صالة الوليمة التي المدعوين وكانوا جالسين على مقاعدهم لزاء الموائد ينتظرون الطعام وقد برح بهم الغضب بعد الركوب مدة طويلة

وقالت لهم العروس « يا أصدقائي الاعزاء ، لا أكتم عنكم اني ذاهبة بعد الاتفاق مع زوجي الى لقاء حبيبي ، وهو يعتزم اليوم أن يقتل نفسه لاني حلفت بعهده وسأذهب اليه الآن وأخبره بأني أرغمت على الزواج من غيره . ولا يدهشكم ذهابي بنفسي اليه لان مثل هذه المهمة لا يؤتمن عليها رسول ولا تكفي فيها الرسالة ورجائي اليكم الا تمسكوا عن الاكل والشرب وتظهروا أثناء غيابي وسأعود اليكم بعد انقاذ حياته »

فبكى جميع الحاضرين عند ما تحدثت عن حزنها وقلقها المساور وقالوا لها لا يجوز لنا الشراب ولا الاكل وأنت تعانين مثل هذا الحزن . اذهبي اليه وبعد عودتك الينا نتناول الطعام ، وتركوا الموائد

واجتازت العروس ساحة القلعة ، وحدث ضوضاء ولغط في المطبخ لان أحد الوصفاء ذهب الى رئيس الطهاة وأعلمه ان الوليمة أجلت لمدة ساعات فتضجر الرجل خشية أن يسري الفساد الى ما أكولاته فرمى قرصاً من الزبدة الى النار وكسر سلة من البيض ثم أخذ بثلاثة الوصيف والقاه خارج الباب ووقف ينادي أطيب مكسبة كبيرة

ولكن عند ما أجلت العروس وطلبت اليه أن يطلق سراح الغلام أوقف العقوبة وخلى سبيله وقال ، الحمد لله الذي جعلك رحيمة الى هذا الحد وما كنت لازيدك حزنا على حزن ، وحفظ الاكل مدة ساعات دون أن ينبس بكلمة تدل على التغضب والتغيظ

وصارت العروس وحدها موغلة في الغابة الفسيحة لانها أرادت أن تلقى حبيبها وهي تسعى على القدم غير مصحوبة بأحد كما يدخل الانسان بيت الله وحيدا في ساعة الشدة

وكان يقيم في الغابة ، جل منشرد أفاق من مناصفة الطرق فأبصر قدومها وهو متسائل بين الاشغال . وكانت في يدها خواتم وعلى مفرقها تاج من الذهب وقد أحاطت بخصرها منطقة من الفضة وتدلت حول عنقها الآلئ . فقال اللص لنفسه انها امرأة ضعيفة وسأسلبها بجوهرها وأصبح رب ثروة تمكنني من الذهاب الى بلاد أخرى وأن أضع حداً لهذه الحياة البائسة الشقية في هذه الغابة وأغدو رجلا محترما أمينا ،

ولكن لما دنت منه العروس وأبصر وجهها حالت شجاعته لما أفاضه الله عليها من الجمال فقال لنفسه ، أنا لا أقو على ايذائها . انها عروس ومثل هذه الحسناء لا ينبغي أن تسلب حليها في يوم الزفاف ، وخشي الله الذي برأها وسواها وأفسح لها الطريق

وفي نفس الغابة كان يقيم تاسك يجوز يعذب نفسه بالتزامه اليقظة مدة ستة أيام وست ليال ، ولا يسمح لنفسه بالنوم الا في اليوم السابع . وكان قد أخذ نفسه بقانون صارم وهو انه اذا عاقه شيء عن أن ينام نوما هادئا فعليه أن يستمر مستيقظا مدة ستة أيام بلياليها وأقنع نفسه بان هذه مشيئة الله . والآن كان اليوم السابع والليلة السابعة قد شارفا الانتهاء دون أن يمنح نفسه الراحة لكثرة المترددين عليه من المحزونين المعذبين ولما فارقهم وأراد أن ينام أبصر بالعروس تخوض احشاء الغابة المتكاثفة فقال لنفسه ، كيف تستطيع هذه المرأة أن تعبر النهر المضطرب الاوادي وقد طفى طوفانه هذه الليلة وأغرق الجسر ؟ ، وترك راحته ومضى اليها وحملها على ظهره وعبر النهر . وعند ماعاد الى مغارته كان الوقت قد انقضى . وهكذا لاجل سيدة لا يعرفها اضطر أن يستمر مستيقظا ستة أيام وست ليال أخرى . ولكنه لم يأسف لذلك لانها كانت من الرقة والملاحة بحيث ان كل من وقعت عينه عليها يحب أن يضحي من أجلها بشيء

وأخيرا وصلت الى منزل حبيبها . ولكنه كان قد حبس نفسه في قاعة واسعة وأحكم ايصاد الباب . فلما قرعت الباب كان لا يريد أن يفتح لانه جرد سيفه وعزم على الانتحار

وكانت الفتاة لا تستطيع أن تناديه ولا أن تتوسل اليه لان الحزن عقد لسانها ولكن دموعها فاضت وسمع نشيجها فلم يستطع أن ينتحر وهو يسمع ذلك فراخى المزلاج وأدخلها

فوقفت أزاهر مضمومة اليدين وشرحت له كيف أرغمت على الزواج من غيره ولما رأى أنه لا يزال يملك قلبها وعدها بأنه لا ينتحر . ثم تعلقت به فقبلها وشعرا بكل مايتسع له القلب البشري من سرور وحزن

وقال لها ، يجب أن تنصرفي الآن لانك لغيري ، . فأجابته ، كيف أقوى على ذلك ، ولكن الفارس الذي يحبها نزع نفسه من بين ذراعيها وقال ، لا أظلم من سمح لك بالمجيء الى ، وأعد جوادين مطهمين وحملها الى منزل ابيها .

هذا ما رواه الأب الراهب للشيطان وهو يجول من حوله . ثم سأل أي هؤلاء الناس لذين ذكرهم قدم أكبر خطيئة وكان الراهب رجلا عالما يعلم ما في العلم انه لا يوجد انسان بدون خطيئة كما وعلم هذا الغريب . وقدر في راهب انه بهذه القصة يستطيع ان يعرف اي الخطايا السبع خطيئة لابد بغضبه صنيع الاب والروح أو الشيطان أو رئيس الشياطين أو النفس أو الجسد أو الحسد و يستطيع الراهب أن يعرف اي كانت خطيئة الكبرياء أو الحسد والطمع أو الغضب أو الكسل أو الشهوانية . لأن الخطيئة التي نحب بها أشد الاعجاب في الغير هي الخطيئة التي نحد صعوبة في اكتسابها

وكان الشيطان من الاستراق في الثناء لحبه بحيث لم يغلق الشبكة التي صنعها له الراهب . فاحب . حقا انه ليس من السهل الاجابة على سؤالك ويظهر لي أن الروح لم يعط أقل ما أعطاه الحب و ان الشيوخ لم يقرروا بتضحية أكبر من التضحية للنفس وكثير يستحق أكثر الثناء ولكن أن هذا هو كل ما يريده الراهب ان يقوله

فقال له الراهب ولقد هداك ذلك ، اذا أردت أن تعرف انك تفضل أحد هذه الاشياء على الآخر فاعرف انك لا تحقق اهميا كبيرا على أي واحد منها »

فقال الشيطان « لا أستطيع أن أنقص أي عمل من أعمالهم ولا أستطيع كذلك المفاضلة بينها »

فقام الكاهن عليه واداعا من الله وقال ان صوت عدوك ، الوسيل اليك ان تقول ان احدهم قدم أكبر تضحية

فرفض الشيطان ان يقول ذلك واقتبس المغفرة

فانفجر الراهب قائلا « انت الان قبلك كل هذه الخطايا السبع وربما كنت الشيطان نفسه ولم تك بشرا ! ولا تحقق ذلك وليس من كرسي الاعتراف ولا بالكل تعالى وشرع يتلو تعويذة طرد الشيطان

ولما رأى الشيطان انتفاخ امره بعظم عجائبه حتى صارت اشبه بجناحين مرفرفين ثم ارتفع عاليا في شكل خماسي اسود ضخم خلال الليلة الحكيمة المظلمة

ولم تكتشف حيلته ويعطل تدبيره فقط بل قد استحال شره بفضل الله بركة عظيمة لان قصة الراهب كانت لمدة أجيال وسيلة للوقوف على طوايا النفوس . واذا استعملت بعقل فهي مثل الشبكة يلقى بها الصيادون غمار اليم لاصطياد السمك . وهي تظهر الخطايا المستترة فتستطيع ان تحذرها وتقتصر عليها ؟

ع . ا